قضايا

بعد انسحاب القوات الأميركية من أفغانستان، والتقدّم السريع لحركة طالبان، ثمّة أسئلة كثيرة تطرح، منها: هل تتمكن طالبان من حكم أفغانستان؟ هل تمتلك الخبرة الإدارية والسياسية لإدارة الدولة؟ هل تغيّرت حقاً؟ هل فكت ارتباطها نهائياً بتنظيمات مثل القاعدة وداعش؟ الكاتب، عمار ديوب، يحاول الإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها. هنا الجزء الأول.

فشل أميركي وتخوّفات إقليمية

هل تنهض «طالبان» بالدولة الأفغانية؟ [2/1]

عمار ديوب

طالبات افغانيات في مدرسة ثانوية في كابول في 24/ 7/ 2021 (Getty)

تشكّلت حركة طالبان في 1994، وحكمت أفغانستان بين عامي 1996و2001. ارتكبت، في أثناء وصولها إلى السلطة، العنف الأصولي والمجازر، وصلبت الرئيس محمد نجيب الله على عمود كهربائي بطريقة مخزية، وطردت كل الموظفين الذين كانوا على صلة بالحزب الشيوعي من دوائر الدولة، وأبعدت النساء عن مجالات الحياة؛ فليس من المسموح تعليمهن، ولا خروجهن للعمل، ولا أن يتزين، وسواه كثير، ومارست أسوأ أشكال التعامل مع الأقليات، سيما الهزارة الشيعة. «طالبان» تلك كانت متشبعة بروح الجهاد القادم من التعليم الديني التقليدي. تكمن أهميتها، وارتفاع قيمتها بأعين الشعب حينها، في اعتبارها حركة جهادية تمثل طلبة العلم الفقهي أولاً، ولم تنغمس في الحرب الأهلية التي فتكت بالأفغانيين بعد إسقاط النظام الشيوعي عام 1992، ولا انغمست بحسابات الجهاديين السابقين ومصالحهم وتبعيتهم لهذه الدولة أو تلك.

نشوء «طالبان» وإبعادها عن الحكم

كان ظهور «طالبان» ووصولها إلى الحكم سهلاً بسبب غياب الأمن والحرب الأهلية والفساد بكل أنواعه، حتى الأخلاقي منه، وابتزاز أموال الناس، وظهور طبقة أثرياء الحرب. لقد عمت هذه الممارسات أوساط المجاهدين، وهنّاك عدم قدرتهم على تشكيل حكومة مركزية وقضاء موحد؛ فكانت أقاليم أفغانستان موزعة بين أمراء الحرب السابقين. وقد أحدث الوضع السابق فوضى وحروب متتالية بين القادة، ولمن ستؤول القيادة والجاه وسواه كثير ونهب ثروات البلاد. طالبان كانت استجابة واقعية وحاجة مجتمعية، ولكنها انبثقت بدعم باكستاني كبير وأميركي في الخفاء، واستطاعت أن تفرض سلطتها على أغلبية أقاليم أفغانستان، وأسست إمارتها الإسلامية، وكان حكمها استبدادياً وتمييزاً ضد النساء والأقليات، وفرضت الشريعة الإسلامية وفقاً لتأويلها الجهادي. أُبعدت عن الحكم بقوة التدخل الأميركي، وبمساعدة من تحالف قوات الشمال، الذين هزمتهم «طالبان» من قبل! وبسبب تحالفها مع تنظيم القاعدة الذي قام بعمليات عسكرية في أميركا عام 2011، أدت إلى مقتل أميركيين كثر. لم تنفذ «طالبان» بفك علاقتها بالقاعدة وتسلم ابن لادن، وهذا أدى إلى أن تشن الولايات المتحدة، ومعها حلف الناتو، حرباً ضد طالبان، وسميت الحرب على الإرهاب، واستمرّت عشرين عاما. لاحقاً، تؤكد تقارير كثيرة أنها فكت تلك العلاقة، وابتعدت عن «القاعدة» بعد إخراجها من السلطة، وصارت أقرب إلى حركة محلية، ومنشغلة بالقضايا الأفغانية، وهناك تحليلات تؤكد بقاء تلك العلاقة، ولكن بشكل خفيٍّ.

إخفاق أميركا في أفغانستان

عشرون عاماً، لم تحاول أميركا فيها إنتاج الأمة الأفغانية كما ادّعت، ولا أرست نظاماً ديمقراطياً، وظلّت أقاليم كثيرة خارج سيطرتها، وخسرت أكثر من تريليونين من الدولارات وقرابة ثلاثة آلاف جندي. الآن، تنفذ اتفاقية وقعتها مع حركة طالبان في 29 فبراير/ شباط 2020، وتنسحب من أفغانستان من دون مجدٍ أو كرامة، كما خرجت من قبلها بريطانيا وروسيا وغيرهما. النظام في كابول بقيادة أشرف غني، وعبد الله عبد الله، رئيس المجلس الأعلى للمصالحة الوطنية، يذعنان للاتفاقية، ويؤهلان نفسيهما، مع تحالفاتهما السياسية لقبول دخول «طالبان» شريكاً في الحكم، وقد تدخل العاصمة بالقوة، في حال تعثرت المفاوضات وأكمل الأميركيون وحلفاؤهم الانسحاب. أيضاً هناك قوى سياسية، من قوميات متعددة، وحتى من البشتون، القومية التي تنتمي «طالبان» لها، وهي أكبر قومية أفغانية، تستعد لتقاسم السلطة من جديد أو الحرب مع «طالبان» في حال لم تقدم الأخيرة ممارسات واتفاقيات جديدة تضمن مصالح تلك الفئات وتحترم خصوصياتها.

في الأسابيع الأخيرة، فرضت «طالبان» سيطرتها على مناطق شاسعة، ووصلت قواتها إلى مناطق الشمال، والوسط، ولكنها ابتعدت عن فرض سلطتها على مراكز الأقاليم. وأيضاً لم ترتكب مجازر بحق المختلفين قومياً أو مذهبياً، وهناك أفكارٌ جديدة أصبحت تقرّ بها، وإن لم يتم التحقق منها بشكل دقيق، كحق النساء بالتعليم، وعدم معارضة الموسيقى، وقد أصبحت هي ذاتها تستخدم كثيراً من وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا حسّن قليلاً من سمعتها الشديدة السوء، حينما حكمت أفغانستان.

اتصف النظام الذي استلم الحكم من 2001 إلى 2020 بالفساد، والنزاعات بين قادته، ولم ينهض بأفغانستان اقتصادياً، ولكنه أعطى الكثير من الحريات للأفراد، سيما للنساء. المناطق التي سيطر عليها النظام هذا، عاش أفرادها من دون قيود متشددة كما من قبل، ومن دون حروب أهلية كما جرى بين 1992 و1996، وأيضاً تنفسوا الصعداء مع زوال حكم «طالبان». إذاً هناك قطاعات شعبية كبرى، لن تقبل حكم «طالبان» كما كان، ويقع على الأخيرة أن تتخلى عن العقلية الجهادية، والدعوية، والإيمانية المطلقة، وأن تتقبل الآخر، المختلف قومياً، ومذهبياً، ومن المذهب ذاته، وحقوق المرأة والإنسان، وحق الانتخاب والترشح للجميع، وأن تتخلص من فكرة: هل يتساوى المؤمن والجاهل؟ فهل باستطاعة حركة جهادية أن تتجاوز تجربتها السابقة، وكثيراً من أفكارها؟

هل تغيّرت طالبان؟

لا يمكن القول إن «طالبان» ظلت كما هي، كما أشرنا، وكذلك لم تعد تتحالف مع القوى الجهادية، كالقاعدة وداعش، وأبعدت القاعدة عن مناطق نفوذها، وشنت معارك عدة ضد أفراد تنظيم الدولة الإسلامية، ولكن «طالبان» لم تتخل عن مرجعية أن تكون الشريعة الإسلامية المصدر الوحيد للدستور، وعن هدفها في تجديد إمارتها الإسلامية، وهذا يتضمن رفضاً للآخر، حيث اسم الجمهورية الحالية «جمهورية أفغانستان الإسلامية»، فلماذا لا توافق على هذه التسمية مثلاً، وتفاوض من أجل تغيير الدستور من ناحية أخرى، ولكن أيضاً ما هي مواد الدستور الذي تتبنّاه «طالبان»؟. تشددها هذا ليس في مصلحتها، ولا تتقبله قوى النظام السابق، وبالطبع ليس محل ترحاب من الدول التي أقامت نقاشات مطولة مع مُمثلي حركة طالبان، كروسيا وإيران والصين، وهناك الهند وباكستان وتركيا. قد تكون رسالة «طالبان» هذه تكتيكاً يخص أفراد تنظيمها، حيث التخلي عن تسمية «الإمارة الإسلامية» سيدفع بكتل منها نحو «داعش» مثلاً، ولكن ذلك سيثير توجس قطاعات كبيرة من الشعب الأفغاني والدول الإقليمية؛ فإذا كانت هناك رغبة شديدة لدى الأفغان برؤية حكومة موحدة، وعدم العودة إلى الحرب الأهلية وافتقاد الأمن وضرورة جمع السلاح وتوحيده، فإن «طالبان» معنية بتغييرات كبرى في رؤيتها للسياسة ولعلاقة الدين بالدولة، والتخلص من عقلية الثأر من النظام السابق وقواه، ولا سيما حينما تغادر القوات الأميركية بشكل نهائي في 11 سبتمبر/ أيلول 2021.

> هل تتخلّى طالبان عن العقلية الجهادية، والدعوية، والإيمانية المطلقيّة، وتتقبل الآخر، المختلف قومياً، ومذهبياً؟
>
> أفغانستان دولة فاشلة بامتياز، وتحتاج إلى مشروع وطني للنهوض الشامل
>
> أنشأت أميركا قاعدتين عسكريتين جديدتين في باكستان، وذلك بهدف التدخل العسكري من جديد حال استدعى الأمر ذلك

ليس النظام القديم من يعطي الأمن والاستقرار للأفغان، حيث لم يستطع ذلك لعشرين عاماً، بل حركة طالبان وقد أصبحت جزءاً من السلطة، أو استلمتها مثلاً. ولكن، ما المانع ألا تعود إلى سابق عهدها في مستقبل الأشهر المقبلة. إن تجربة «طالبان» في الحكم، وطردها منه بقوة الاحتلال الأميركي، ومراجعاتها لما فعلته، وتغيّر فهمها للعالم بشكل أفضل وللسياسة الدولية والإقليمية، أقول ذلك كله قد يدفعها إلى التفكير بعقلية الدولة وليس عقلية الحركة الجهادية، المؤمنة بأن العالم سيخضع لها بأكمله. وهناك من لا يرى إمكانية في ذلك، فالحركات الجهادية لا تتغير أبداً؛ هنا. عكس ذلك، لنلاحظ مثلاً جملة التغييرات التي تجريها هيئة تحرير الشام في سورية على أفكارها وممارساتها، التي تقترب بها لتكون حركة غب الطلب، وتخضع للشروط الأميركية والروسية والتركية، ومع ذلك من الضروري أن ندقق في ممارساتها، التي بالكاد نرى تغيراً واقعياً فيها، كما هو في الخطاب الأيديولوجي؛ أضيف هنا أن «طالبان» استلمت السلطة، وكذلك هيئة تحرير الشام. القضية عند «طالبان» أكثر تعقيداً، فهي من ستفرض سلطة على أغلبية أو كامل أفغانستان، وهي أمام أعين الدول الإقليمية، الذين ينظرون جيداً لممارساتها كحركة تدير دولة وليس جماعة جهادية؛ المقصد هنا بشراكتها من قوى النظام الحالي أو في حال أنهت النظام واستلمت الحكم منفردة.

هل تنتقل أفغانستان إلى دولة غير فاشلة

أفغانستان دولة فاشلة بامتياز، وتحتاج إلى مشروع وطني للنهوض الشامل. الاتفاقية التي يجري النقاش حولها بين «طالبان» وأطراف أساسية في النظام الحالي في الدوحة تقتضي تقاسم السلطة ليس أكثر. هناك إشكال كبير، حيث شكل الانسحاب الأميركي السريع، وقبل تشكيل السلطة الجديدة، مصدر تخوّفات كبرى على مستقبل هذا البلد، فعدم التوافق سيدفع أفغانستان نحو حرب أهلية من جديد. لدى «طالبان» تحفظات على السلطة الحالية، وبالمثل لدى السلطة، ولدى زعماء المجاهدين السابقين، وهناك مئات آلاف الضحايا، وما يزيد الأمر سوءاً أن الأطراف المتحاورة تتقاتل في الوقت ذاته على الأرض، والثقة ببعضها في غاية الضعف. المقصد هنا أن الواقعية تقتضي رؤية مصلحة كل الأفغان، وهذا يتطلب أن تتجاوز القوى التي ستمثل السلطة الجديدة ممارسات الأمس، والانطلاق نحو المشروع الوطني ذاك. الأمر معقد للغاية، والتفاوض يجري على وقع الحرب والجثث، ومراقبة الأجهزة الأمنية للدول المحيطة لها، والأخيرة بالتأكيد تتخوّف من بسط بعض الدول السيطرة على ثروات أفغانستان والسلطة الجديدة فيها، فهل تتمكن الأخيرة من تشكيل نفسها، وتحييد الدول الإقليمية، وتستفيد من ثرواتها في إطار مشروع وطني، وتقيم علاقات متكافئة مع دول المحيط.

التخوفات الإقليمية

منذ أشهر، بدأت روسيا تعزز وجودها في الجمهوريات القريبة من أفغانستان، وحتى قبل وصول «طالبان» إلى السلطة، فهناك تخوف شديد من السماح للمجاهدين من آسيا الوسطى بالتسلل إلى الجمهوريات «الإسلامية» في محيط روسيا، وربما إعادة تشغيل المجموعات الجهادية في الداخل الروسي! وبالمثل تفعل الصين التي تطمح إلى استخراج الثروات الكبيرة في هذا البلد، وتأمين خطوط النفط والغاز إلى موانئ باكستان، والأخيرة بدورها تتطلع إلى علاقة طبيعية، حيث لا تعترف الدولة الأفغانية بخط «دوراند»، أي بالحدود التي رسمها الضابط البريطاني، سكرتير الشؤون الخارجية للحكومة البريطانية للبلدين في أوائل القرن العشرين، والتي تقتسم مناطق واسعة من أراضي قومية البشتون وتلحقها بباكستان، وهناك بالطبع طالبان باكستان، وقد تعود الروح إليها بتزعم «طالبان» الحكم من جديد.

يشار هنا إلى أن الولايات المتحدة أنشأت قاعدتين عسكريتين جديدتين في باكستان، وبالقرب من الحدود الأفغانية، وبهدف التدخل العسكري من جديد في حال استدعى الأمر ذلك، وربما يكون التدخل عبر الجو، كما يجري في الصومال أو اليمن وسواهما. عدا كل تلك الدول هناك إيران ومستقبل إثنية الهزارة في أفغانستان، وملايين اللاجئين الذين لم يعودوا في زمن حكومة كرزاي وأشرف غني، ورغبة إيران في فرض سيطرتها على أفغانستان من جديد، وهو ما كان مرفوضاً. لم تنقطع العلاقات بين إيران و«طالبان»، على الرغم من الخلاف العقائدي، ودعمت قوات الشمال ضد «طالبان»، وهناك القمع الذي أوقعته حركة طالبان ضد الهزارة، إذاً، هناك تخوف إيراني شديد من السلطة القادمة في أفغانستان.

(كاتب سوري)

طالبان «الجديدة»

فرضت حركة «طالبان» في الأسابيع الأخيرة، سيطرتها على مناطق شاسعة من أفغانستان، ووصلت قواتها إلى مناطق الشمال، والوسط، ولكنها ابتعدت عن فرض سلطتها على مراكز الأقاليم. وأيضاً لم ترتكب مجازر بحق المختلفين قومياً أو مذهبياً، وهناك أفكارٌ جديدة أصبحت تقرّ بها، وإن لم يتم التحقّق منها بشكل دقيق، كحق النساء بالتعليم، وعدم معارضة الموسيقى، وقد أصبحت هي ذاتها تستخدم كثيراً من وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا حسّن قليلاً من سمعتها الشديدة السوء، حينما حكمت افغانستان.